عاشراً - دور المعلم في تنمية التفكير

يتفق خبراء علم نفس التفكير على أن التفكير لا يحدث في فراغ بمعزل عن محتوى معين أو مضمون، كما أن تعليم التفكير وتعلمه لا يحدثان في فراغ، بل أن عملية التعليم والتعلم على إطلاقها محكومة بعوامل عديدة تشكل في مجملها الإطار العام أو المناخ الذي تقع فيه.

ينبثق عن المنحنى الذي يجعل من الطلبة محور العلمية التعليم والتعلم تحولات كبيرة في كثير من الأمور التربوية عامة وعلى دور المعلم خاصة وأكدت هذه التحولات على التعليم المفرد والأخذ بعين الاعتبار حاجات المتعلم واهتماماته ورغباته الخاصة والتأكيد على استقلاليته ونتج عن ذلك تبني استراتيجيات خاصة وجب على المعلم التعامل معها لأنها تتناسب مع طبيعة المتعلم وتعمل على إثارة اهتماماته وحفزه وتشجيعه وتنمية قدراته الفكرية وركزت على التعليم المستقل والتعلم الذي يراعى الفروق الفردية.

ويعد المعلم من أهم عوامل تعليم التفكير لأن النتائج المتحققة من تطبيق أي برنامج لتعليم التفكير تتوقف بدرجة كبيرة على نوعية التعليم الذي يمارسه المعلم داخل الغرف الصفية.

وفيما يلى مجموعة من الخصائص والسلوكيات التي يجب أن يتحلى بها المعلمون من أجل توفير البيئة الصفية اللازمة لنجاح عملية تعليم التفكير وتعلمه:

1- **الاستماع للطلبة:** حيث إن الاستماع للطلبة يمكن للمعلم من التعرف على أفكار الطلبة عن قرب ومع أنه نشاط قد يستهلك جزءًا لا بأس به من وقت الحصة، إلا أن ضروري لإظهار ثقة المعلم بقدرات طلبته وإتاحته الفرصة أمامهم للكشف عن أفكارهم.

2- **احترام التنوع والانفتاح:** التفكير من أجل التفكير أو تعلم التفكير يستهدف إدماج الطلبة في عملية التفكير أو وضعهم في مواقف تتطلب منهم ممارسة نشاط التفكير وليس انشغالهم في البحث عن إجابة صحيحة لكل سؤال، ولذلك فإن المعلم الذي يلح على الامتثال والتوافق مع الآخرين في كل شيء يقتل التفكير والأصالة والإبداع لدى طلبته ولا يحترم التنوع والاختلاف في مستويات تفكيرهم، وإذا كان المعلم معنياً بتوفير بيئة صفية ملائمة لتعليم التفكير وتعلمه، فإن عليه إظهار الاحترام والتقدير لحقيقة الاختلاف والفروق الفردية بين طلبته والانفتاح على الأفكار الجديدة والفريدة التي قد تصدر عنهم.

3- **تشجيع المناقشة والتعبير**: يحتاج الطلبة إلى فرص للتعبير عن آرائهم ومناقشة وجهات نظرهم مع زملائهم ومع معلميهم وعلى المعلم أن يهيئ لطلابه فرصًا للنقاش ويشجعهم على المشاركة وفحص البدائل واتخاذ القرار.

4- – **تشجيع التعليم النشط**: يتطلب تعلم التفكير وتعلمه قيام الطلبة بدور نشط يتجاوز حدود الجلوس والاستماع السلبي لتوجيهات المعلم وشروحاته وتوضيحاته، إن التعلم النشط يعني ممارسة الطلبة لعمليات الملاحظة والمقارنة والتصنيف والتفسير وفحص الفرضيات والبحث عن الافتراضات والانشغال في حل مشكلات حقيقية، وعلى المعلم أن يغير من أنماط التفاعل الصفي التقليدية حتى يقوم الطلبة أنفسهم بتوليد الأفكار بدلاً من اقتصار دورهم على الاستماع لأفكار المعلم.

5- **تقبل أفكار الطلبة**: يتأثر التعليم الذي يهدف إلى تنمية التفكير بعدد كبير من العوامل التي تتراوح بين العواطف والضغوط النفسية والثقة بالنفس وصحة الطالب وخبراته الشخصية واتجاهات المعلم نحو طلبته، ولهذا فإن المعلم مطالب بأن يلعب أدوارًا عديدة من بينها أدوار الأب والمرشد والصديق والقائد والموجه، وعندما يتقبل المعلم أفكار الطلبة بغض النظر عن درجة موافقته عليها، فإنه يؤسس بذلك بيئة صفية تخلو من التهديد وتدعو الطلبة إلى المبادرة والمخاطرة والمشاركة وعدم التردد في التعبير عن أفكارهم ومعتقداتهم، ومن المؤكد أن الطالب الذي يتوقع رفض المعلم لأفكاره ومعتقداته يفضل الانكفاء على الذات والتوقف عن المشاركة.

6- **إعطاء وقت كاف للتفكير**: عندما يعطى المعلم طلبته وقتًا كافيًا للتفكير في المهمات أو النشاطات التعليمية فإنه يرسخ بذلك بيئة محفزة للتفكير التأملي وعدم التسرع والمشاركة، وعندما يتمهل المعلم قبل الإجابة عن أسئلة الطلبة فإنه يقدم لهم نموذجًا يبرز قيمة التفكير والتأمل في حل المشكلات، إن التفكير في المهمات المفتوحة يتطلب وقتًا ويتيح للطلبة فرصًا للتعلم من أخطائهم ويقودهم إلى احترام قيمة التجريب.

7- **تنمية ثقة الطلبة بأنفسهم**: تتطور الثقة بالنفس نتيجة للخبرات الشخصية وعندما تتوافر لدينا الثقة بأنفسنا فإننا قد ننجح في حل مشكلات تتجاوز توقعاتنا، أما عندما تنعدم الثقة فإننا قد نحقق في معالجة مشكلات بسيطة وعليه فإن المعلم مطالب بتوفير فرص

لطلبته يراكمون من خلالها خبرات ناجحة في التفكير حتى تنمو ثقتهم بأنفسهم وتتحسن قدراتهم ومهاراتهم التفكيرية، وحتى يتحقق ذلك لابد أن يختار المعلم مهمات تفكيرية تنسجم مع مستوى قدرات طلبته ولا سيما في بداية برنامج تعليم التفكير وعندما يظهر الطلبة تحسنًا في مهاراتهم التفكيرية يجب على المعلم أن يعبر عن تقديره وتنميته لذلك.

8- **إعطاء تغذية راجعة إيجابية:** يحتاج الطلبة عندما يمارسون نشاطات التفكير إلى تشجيع المعلم ودعمه حتى لا تهتز ثقتهم بأنفسهم ويستطيع المعلم أن يقوم بهذه المهمة دون أن يحيط الطالب أو يقسو عليه إذا التزم بالمنحنى التعليمي الإيجابي بعيدًا عن الانتقادات الجارحة أو التعليقات وحتى عندما لا يكون عمل الطالب في مستوي قدراته يستطيع المعلم أن يشجعه على الاستمرار والبحث عن إضافات جديدة أو التفكير في إدخال تعديلات أو إيجاد بدائل أخرى.

9- – **إثراء أفكار الطلبة:** في كثير من الحالات يتخذ المعلمون مواقف دفاعية في مواجهة مدخلات طلبتهم أو أسئلتهم التي قد تكون محيرة لهم أو جديدة أو صعبة لا يعرفون إجاباتها، ومن الطبيعي أن يواجه المعلم مواقف كثيرة كهذه عندما يكون التركيز على تعليم التفكير في صفوف خاصة بالطلبة الموهوبين أو المتفوقين، إن المعلم الذي يهتم بتنمية تفكير طلبته لا يتردد في الاعتراف بأخطائه أو التصريح بأنه لا يعرف إجابة سؤال ما كما أنه لا يتوانى عن التنويه بقيمة الأفكار التي يطرحها الطلبة.

وبالإضافة إلى ذلك ينبغي على المعلم أن ينظر إلى عملية تنمية مهارات التفكير لدى الطلاب على أنها هدف البرنامج التعليمي وليس حصيلة تعليم مناهج وأنشطة فقط، ومع وجود إمكانية تعميم أساليب التفكير على مستوى المدرستين الإعدادية (المتوسطة) والثانوية، إلا أن المراحل الأولى لتعليم مهارات التفكير في رياض الأطفال والمدرسة الابتدائية تحتاج إلى أن يتمتع الطفل بقدر كبير من الحرية عندما يطلب منه التفكير في بعض القضايا والمواقف والمشكلات.

أما الطلاب في المدرستين الإعدادية (المتوسطة) والثانوية فهم في احتياج إلى المعلم الكفء الذي يستطيع إثارة الأسئلة في أذهانهم تجاه المشكلات التي يطرحها عليهم في مناخ يسوده المودة والألفة.

وفيما يلي أهم الأدوار التي يقوم بها المعلم في توجيه وتنمية مهارات التفكير لدى الطلاب:

1- مساعدة الطالب على توجيه وتنمية تفكيره من خلال الحقائق وطرح الأسئلة واقتراح البدائل وجذب الانتباه والوصول إلى أسباب ومبررات المشكلة المطروحة عليه.

2- عندما يقوم المعلم بتخطيط برنامج مهارات التفكير مع الطلاب فينبغي عليه أن يضع في اعتباره أن تكون المهارات عملية وحقيقية للطلاب بحيث تساعده على ممارسة الأنشطة وأن تكون المهارات متنوعة بدرجة كافية لخلق مجال من المرونة والإبداع.

3- يذكر المعلم دائمًا أن تنفيذ برنامج مهارات التفكير في مواقف مفروضة أو مصطنعة تعتبر عديمة الجدوى والفائدة.

4- يمكن أن يساعد المعلم طلابه على تنمية قدرات البحث والتجريب والإنتاج الإبداعي من خلال أساليب التعليم التي تتسم بالمنطقية والتخطيط السليم، تلك الأساليب التي تحقق اكتساب الطلاب لمهارات التفكير والأساليب الصحيحة لحل المشكلات.

كما يضع المعلم في اعتباره دائمًا أن تكون مهارات ومواد التفكير ضمن إطار فهم ومستوى الطلاب وفي متناولهم، بحيث يسهل عليهم الوصول إلى حل المشكلات وتحديدها بشكل سليم وبدرجة معقولة.

5- يجب ألا يفترض المعلم العمليات الأساسية للتفكير على الطلاب، بل يجب أن تترك للطلاب بحيث يتم اكتشافها وتنميتها بأنفسهم، حيث يظهر التوازن بين التكييف والعفوية في بادئ الأمر من خلال خبراتهم الخاصة، ثم يتم تعزيز عمليات التفكير بعد ذلك التوجيه والإرشاد.

6- يجب أن تشتمل أساليب التفكير على مجموعة من الفروق الفردية والاختبارات المقننة التي تكشف عن مستوى ذكاء كل طالب.

7- عند تنفيذ برنامج مهارات التفكير يجب أن يضع المعلم في اعتباره أن هناك عوامل عديدة تؤثر في عملية التفكير لدى الطالب: مثل الميول والحوافز والقيم والمواقف والظروف المحيطة بالطالب وحالته الوجدانية مثل القلق والمبالغة في الثقة بالنفس وقناعته بشخصية المعلم وقبوله للمشكلات المطروحة عليه.

8- ينبغي على المعلم أن يمنح الطلاب وقتًا كافيًا للتأمل لاسترجاع ما في ذاكرتهم من مواقف

وقرارات، كما لا ينبغي أن يطلب منهم إصدار قرارات فورية تجاه المشكلات التي تتطلب حلولاً سليمة.

9- كما لا يغيب عن ذهن المعلم أن سبب عجز الطالب عن حل المشكلات يرجع إلى الضعف في بعض مراحل عملية التفكير وليس في العملية بكاملها، كوجود كلمات ضعيفة أو مهارة قرائية غير كافية أو ضعف في التحضير أو وضع تعريف ضعيف للمعطيات أو ضعف في استخدام اللغة بشكل عام فالطالب في مثل هذه الحالات يحتاج إلى مساعدة في تحديد الأسباب وراء حالات العجز والخطأ، كما يجب التركيز على تطوير فهم أساليب ومبررات الحل الصحيح وليس الاعتماد فقط على الحل الصحيح بذاته.

10- يطرح المعلم على الطلاب أكثر من أسلوب لحل المشكلة وهذا في حد ذاته يعتبر أكثر فاعلية من اتباع نمط واحد ثابت للحل، فالخبرات المتنوعة أكثر تأثيرًا من الخبرة الواحدة المتكررة.

11- يتيح المعلم لطلابه فرص الملاحظة والاكتشاف والاستنتاج والربط والتحليل حيث أن فرص المناهج والمقررات الإجبارية لن تجعل لديهم الرغبة في التفكير.

12- لا ينسى المعلم أن السلطة التي يفرضها على الطالب تقلل من رغبتهم في اتباع أساليب التفكير الإبداعي والنقدي، كما أن الحث على حل المشكلات دون الترهيب بمخاطرها من شأنه أن يدفع الطلاب إلى التفكير المنطقي غير أن إصدار الأوامر مثل فكر وفكر جيد أو أسرع في حل المشكلة وغير ذلك من الأوامر لا تدفع الطلاب إلى التفكير السليم.

وفي المدرسة الابتدائية مجال واسع لتدريب التلاميذ على أنماط التفكير المتنوعة حيث يقوم المعلم بدور إيجابي في إدارة الحوار والمناقشة مثل: توزيع الأدوار وطرح الأسئلة وجذب التلاميذ إلى الاستماع والتفكير قبل الإجابة على أي سؤال، بالإضافة إلى أن المعلم يستطيع تهيئة المناخ الصحي للحوار الهادئ الذي يتسم بالعقلانية.

ومن أهم أدوار المعلم في تنمية مهارات التفكير للطلاب هي كالتالي:

1- طرح الأسئلة التي تثير اهتمام التلاميذ حول قضية أو موقف أو مشكلة ما بحيث تدعو إلى التساؤل والدهشة والتفكير العميق وطرح مزيد من الأسئلة بهدف تطوير أو تعميق موضوع المناقشة (مهارة طرح الأسئلة).

2- تزويد التلاميذ بمواد قرائية تتضمن حوارات ومناقشات واستنتاجات (مهارة القراءة).

3- مساعدة التلاميذ على توضيح أفكارهم وصياغة العبارات بلغة سليمة (المهارة اللغوية).

4- إرشاد التلاميذ إلى مصادر التعلم المتنوعة (المطبوعة وغير المطبوعة) للحصول على المعلومات المطلوبة من خلال (مهارة تناول المعلومات).

5- تشجيع التلاميذ على الاختلاف في الرأي وتقبل الرأي الآخر برحابة صدر (مهارة التفكير المستقل).

6- تحفيز التلاميذ على اتخاذ قرارات مستقلة فيما يتعلق بحياته الشخصية أو بمناهجه الدراسية (مهارة اتخاذ القرار).

7- تجنب الربط بين الخروج عن المألوف وبين الابتكار والتفكير الواقعي (مهارة التفكير المنطقي).

8- شعور التلميذ بأن أفكاره ذات قيمة واحترام المعلم لخيال التلميذ، وتقدير الأسئلة التي يطرحها التلميذ بين حين وآخر (مهارة تقييم الأفكار).

9- تحفيز التلميذ على ابتكار أفكار جديدة وطرح حلول بديلة حول الموقف أو المشكلة المطروحة ومن ثم مكافأة على تلك الأفكار والحلول (مهارة التفكير الابتكاري).

10- تدريب التلاميذ على استخدام أكثر من أسلوب وليس أسلوبًا محددًا في حل المشكلات التي تواجهه أو في مواجهة المواقف التي يتعرض لها (مهارة حل المشكلات).

11- تهيئة المواقف التعليمية التي تستثير التفكير لدى التلاميذ حيث يقدم المعلم للتلاميذ أسئلة مفتوحة تستلزم أكثر من إجابة أو رأى أو فكرة (مهارة التفكير الاستنتاجي).

12- تحفيز التلاميذ على التفاعل الاجتماعي وتشكيل جماعات تلقائية وتهيئة المواقف الاجتماعية والإنسانية التي تحفز التلاميذ على الخروج من دائرة الذات إلى الحياة الاجتماعية الأوسع (مهارة التفاعل الاجتماعي).

13- تنمية مهارة الملاحظة والوصف والتشخيص من أجل توظيفها في عملية تقويم أداء كل تلميذ في جميع مجالات النمو والعمل على رفع مستويات الأداء بما يتناسب وقدرات التلميذ وإيقاع نموه (مهارات الملاحظة والوصف).